**وعي الشباب بين الطموح والواقع**

**الباحث الأستاذ المساعد الدكتور خليل خلف بشير**

**تدريسي في جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية**

**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على المبعوث رحمةً للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: فهذا بحث يتناول شريحة مهمة من المجتمع هي شريحة الشباب محاولاً تسليط الضوء على تنمية وعي تفكيرهم، وصيانة تفكيرهم من الأوهام، وتحسين قدرتهم على التفكير، وتمتع أذهانهم بالحرية، وضبط مسار الغريزة معرِّجاً على مصطلح الشباب القرآني فضلاً عن التفصيل في سبل النهوض بالشباب من خلال الرياضة، والثقافة وتحصيل العلم، وقلة النوم والعمل خاتماً الموضوع بخاتمة فيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث على أن هذه محاولة متواضعة كُتِبَتْ للنهوض بواقع شباب العراق، (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)(سورة هود/ الآية88).

**كيف نوعي الشباب؟**

ربّ سائل يسأل: كيف نوعي هذا الجيل من الشباب؟ كيف نجعلهم شباباً واعين؟ هل ثمة وسائل تنمي قدراتهم الذهنية والعقلية؟ هل القراءة وحدها كفيلة بخلق جيل واع؟ هذه أسئلة نطرحها على مائدة البحث لعلنا نوفق في وضع برنامج من شأنه أن يرتقي بشبابنا نحو الأفضل والأحسن، فلنبدأ بالوسائل التي تنمي القدرات الذهنية للشباب، ومنها:

(1) تنمية الوعي بالتفكير: إذ كلما قمنا بتنمية الوعي بالتفكير كنا أصبحنا قادرين على ما يدور في ذهننا من أفكار، ونستطيع أن نقرر الخطوات التي نتبعها والخطوات التي تواجهنا في حل المشكلات، كما نتمكن من تحديد نواحي النقص في الخطة التي عنده، ومن هنا يصبح الإنسان واعياً بآلهدف الذي يبتغيه، وملماً بالسبب الذي دفعه للقيام به، ويندفع بقوة للتعرف على اكتشاف الجوانب غير المعلومة، وربط المعلومات الجديدة بالخبرات السابقة، وبذا يكون صاحب هذه العقلية الناضجة أكثر قدرة على التعديل الذاتي لمساراته، وأكثر جدارة في وضع منهج منظم للخطوات التي ينبغي اتّباعها للتغلب على المشكلات، وأكثر مثابرة على مواجهة الصعوبات، وأكثر شعوراً بالمسؤولية، وأكثر اهتماماً بما يستلزم عليه من أجل تحقق المطلوب(1).

(2) تطوير مهارات التفكير: إنّ الذي يبقى في طراز متدن من التفكير يندفع دوماً إلى استخدام أنماط تقليدية توجب انحساراً لنموه العقلي، ومن أهم المهارات التي تؤدي إلى تحسين القدرة على التفكير(2):

أ - تخطي الحواجز والموانع الموجودة في حالة استخدام المخزون الفكري، وهو ما يسمى بـ (الطلاقة).

ب – القدرة على التفكير قي بدائل متعددة من أجل الخروج من المأزق أو الاستجابة للتغيير أو التكيف مع الأجواء غير المطلوبة، وهو ما يسمى بـ (المرونة).

ج – إنتاج حلول جديدة وغير مألوفة، وهو ما يسمى بـ (الإبداع).

د – النظر إلى الأشياء من زوايا متعددة فضلاً عن الوعي بالغاية أو آلهدف الذي يتم العمل من أجل تحقيقه، وهو ما يسمى بـ (الشمولية).

(3) صيانة الفكر من الأوهام: في مرحلة الشباب مجموعة من التصورات الوهمية، والأفكار الشاعرية، والأساطير الخارقة يطلق الشاب لها العنان ليتصور أوهاماً ما أنزل الله بها من سلطان فلا يهتم بحقائق الحياة إلا قليلاً، ويلتذ كثيراً بمتابعة الأفلام الجنائية، واستماع الروايات الوهمية، وقراءة القصص البوليسية، تجذبه الأوهام، وتسحره الآمال الطويلة العريضة فيشيد من التصورات بنياناً، ومن الخيال صرحاً، ويأنس بما شيّده وبناه (3) فيفقد الإنسان الرؤية الواضحة، ويغرق في الأحلام الكاذبة لاهباً عن المشكلات التي تحيط به، وينغمر في الغفلة والسبات بحيث لا توقظه منها إلا الصدمات، ولعل من أهم الأسباب المؤدية إلى تلبس الذهن بالأوهام الابتعاد عن النمط الصحيح لتلقي المعرفة، وثمة عوامل نفسية تسهم في ذلك فتوجب تثبيط عزيمة الإنسان عن تحمل فهم الواقع لذا ينبغي على كل من يستهدف الاطمئنان إلى نتائجه الفكرية أن يحمل على الأوهام الباطلة التي تراكمت على عقله ليحرر فكره منها(4).

إنّ ما يعانيه الشباب من فراغ وضياع، ولا مبالاة ناتج عن غياب الفكر المبدع، وتعمد جهات أجنبية لتجهيل الشباب، والهائهم بالمفاسد والشهوات والمخدرات(5) لتضييع جوهرة من الجواهر التي وهبها الله تعالى للإنسان وهو العقل الذي ينتج الفكر، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (6)

دواؤك فيك وما تشـــعرُ وداؤك منك ولا تبصـــــرُ

وتَحْسَبُ أنّك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العَالمُ الأكبرُ

(4) تمتع الذهن بالحرية وضبط مسار الغريزة: من أسباب البعد عن الموضوعية والأمور الواقعية الكبت والمنع من التفكير بحرية؛ لأنّ العقل حينما يُمنَعُ من حرية النظر إلى الواقع فإنه يصطنع لنفسه عالماً من الخيال ينطلق فيه ويعود إليه، ويهيم في عالمه المثالي والافتراضي وغير الواقعي(7)، فقد أودع الله تعالى في بني البشر الغرائز والميول فهو القائل (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (آل عمران/14) أي أنه زين له هذه الأمور مما جعل الإنسان يتجه نحو إشباعها، وتجاوز الحدود المعقولة في إشباع حاجته، وانساق مع الهوى ثم تحول الهوى إلى اله ينتمي إليه من دون الله فأخلد إلى الأرض وتسافل، والتصق بهذه الشهوات حتى كذّب بآيات الله فحوّل المجتمع من مجتمع وحدة قائم على توحيد الله تعالى إلى مجتمع ظلم واختلاف وشرك بالله، وأصبح شقياً بهذا الطغيان ضالاً في مسيرته ناسياً الله تعالى فهو يركض ويلهث لإشباع حاجته لكنه لا يصل إلى الغاية والنهاية(8) كما يصرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الأعراف/175-176)، وقوله (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص/50)، ولعل مما يقيّد العقل الشهوة والغريزة الحيوانية التي هي أقوى بمرات عديدة من العقل والمبادئ الإنسانية السامية فعلى من يريد أن يحيا إنساناً بمعنى الكلمة، ويبلغ القيم الإنسانية، ويتخلق بالمكارم الأخلاقية، ويطوي مدارج الكمال عليه أن يطلق نفسه من عبودية الغرائز والشهوات وألا يستسلم للرغبات الحيوانية ويصحح ميوله الغريزية ويأخذ بعنان نفسه(9)، قال تعالى (فَأَمَّا مَنْ طَغَى۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا۞فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى۞وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ آلهوَى۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعـات/37-41)؛ لأنَّ غريزة الجنس من أخطر الغرائز في الإنسان،وقد أوصى الإسلام بضرورة ترويضها لترشيدها نحو آلهدف من خلقها، قال شاعر:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسانُ

ويشبه الشاعر البوصيري النفس بالطفل الذي إن تهمله يشبّ على حب الرضاع، وإنْ تفطمه ينفطمُ، وذلك في قوله:

والنفسُ كالطفلِ إنْ تهملْه شبَّ على حبِّ الرضاع وإنْ تفطمْه ينفطمِ

ويشير الأستاذ محمد تقي فلسفي إلى أنّ الطفل في بدء حياته يكون حيواناً بالفعل وإنساناً بالقوة ثم تنمو عنده قوة الإدراك بنمو جسده، وتتفتح فيه قابلية التمييز بين الخير والشر عندما يصبح فتى فتشتدّ قوة جسمه، وتنمو عظامه وعضلاته، وتزداد شهيته إلى الطعام والقدرة على آلهضم والامتصاص، وتهيج الشهوة عند الشاب، وتبدو كأنها نار ملتهبة في داخله، وتصبح القوة الغضبية كمستودع للبارود معرَّض للانفجار في كل لحظة، وبموازاة بروز الرغبات الغريزية، والصفات الحيوانية تستيقظ الميول الأخلاقية، ويُزاح عنها الستار، وتبرز في ضمير الفتى تدعوه بندائها الباطني، وجذبها الروحي إلى الإيمان والتقى، وتسوقه إلى طريق المكارم الأخلاقية، والفضائل الإنسانية(10).

إنّ حجم اللذات الجسمية هو حجم اللحظة فلذة الجنس لحظة الإحساس به، ولذة الطعام هي لذة دورانه في الفم فإذا استغرق الإنسان في الجنس فسرعان ما يملّه، وقد يشعر بالانهيار عند تكراره، وعندما يستغرق في الأكل والشرب فإنه يصل إلى التخمة أو الاختناق لذا لا نقول للشباب لا تلبوا حاجاتكم، ولكن خذوا من حاجاتكم بالمستوى الذي يبني لكم أجسادكم من دون أي سلبيات إذ إننا نأكل لنعيش لا نعيش لنأكل، لأنّ الحياة ليست مجرد جسد ومادة فحسب، وإنما هي روح ومضمون فلنسعَ إلى تغذية أرواحنا كما نسعى إلى تغذية أجسادنا إذ إنّ تغذية الروح ستعطي الشباب سعادة الروح والجسد، وسعادة الحياة بكل ما فيها من خير، وجمال، وحرية، وانفتاح(11)، وذلك بإطاعة الله تعالى واتّباع رسوله الكريم وآله الطيبين الطاهرين - عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم – أي أنّ الإنسان يحتاج التوازن في جميع مراحل حياته لاسيما مرحلة الشباب ليلائم بين متطلباته الجسدية وآفاقه الفكرية، أما الإنسان الذي يستغرق في هذا وذاك إما أن يكون مؤمناً فتتغلب حالة الإيمان فتجره إلى الاستغراق الروحي، وإما أن تطغى عليه الغريزة فتجره إلى اللهو والعبث لذا علينا أن نتحرك في محاولات التوجيه الشبابي لنؤكد مسألة التوازن في الجانبين: المادي والروحي؛ لأنَّ الروحانية لا تبتعد عن المادية في الجو الوجودي للإنسان إذ إنَّ المادة تختزن في داخلها شيئاً من الروح كما إنّ الروح لا يمكن أن تتمظهر إلا من خلال الأشكال المادية، وهذا يدل على أنَّ مسألة التوازن بين المادة والروح مسألة طبيعية(12)، ولعل القرآن الكريم قد دعا إلى هذا التوازن في مواضع كثيرة منها قوله تعالى (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً) (الإسراء/29)، وقوله (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً)(البقرة/الآية201)، وقوله (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)(القصص/ الآية77)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): ((ليس منا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه)) (13)، وقال أيضاً: ((اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدأ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)) (14).

إنّ بروز الرغبات الجنسية، والميول الغريزية في مرحلة البلوغ لا يعني التخلق بالأخلاق الحيوانية كما لا يعني تفتح الفطرة الإيمانية، والنزعات الأخلاقية، وإّما هي أرضية صالحة للفضيلة والرذيلة فالشاب باستطاعته أن يضرب عرض الجدار الجوانب الإنسانية والإيمانية، ويستسلم دون قيد أو شرط للغرائز والشهوات، ويتصف بالخصال الحيوانية، وكذلك يستطيع أن يُصغي إلى نداء الفطرة، ويطيع أوامر الضمير الأخلاقي، ويحدد الميول الحيوانية، ويبلغ القيم السامية(15) فالميول ((الحيوانية تطالب بالحرية المطلقة، وتلح على الشاب أن يعيش كالحيوان، ويشبع غرائزه العمياء دون قيد أو حدود، ويروي رغباته الطبيعية بلا تردد لنيل أكبر قدر من اللذة الممكنة بينما تطلب الفطرة الإيمانية والميول الإنسانية السامية الفضائل المعنوية والكمالات الروحية، وتدفع الشاب ليكون إنساناً يتحلى بمكارم الأخلاق والسجايا الإنسانية، ويشبع غرائزه في حدود المصلحة ويرويها مع الأخذ بنظر الاعتبار سعادته وسلامة المجتمع)) (16) لذا نجد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يصف جهاد النفس بـأنه (الجهاد الأكبر) عندما بعث بسرية فلما رجعوا قال: ((مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس)) (17)، وقال الصادق (عليه السلام): من رعى قلبه عن الغفلة، ونفسه عن الشهوة، وعقله عن الجهل فقد دخل في ديوان المتنبهين)) (18).

إنّ البلوغ الجنسي يهب الشاب صلاحية الحرية والاستقلال، ويعطيه الحق في اتخاذ القرار بيد أنَّ التدافع الروحي، والتضاد الباطني ثقيل ومهم إلى حد كبير مما لا يجرؤ الشاب على اتخاذ القرار المناسب لنفسه فهو يشعر بقصوره، ويدرك حاجته للآخرين فينطلق باحثاً ومتفحصاً تجارب الآخرين(19).

ويعد ضعف الإرادة أمام فوران الغرائز والشهوات واحد من أسباب ارتكاب المعاصي فضعيف الإرادة أمام غريزته عاجز عن كبح جماح أهواءه وشهواته النفسية عند تعارضها مع الأوامر الدينية بل يفقد السيطرة على النفس ويسقط في المعاصي(20)؛ ولأنّ النفس من أحبّ النفائس إلى الإنسان، وأكرمها عليه، وأعزّ الأشياء عنده، وأغلاها لديه فمن الواجب أن يقوم بتربيتها، وتهذيبها لأن النَّفْسَ أمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، جرّارة للويلات والتبعات، حريصة على ما يمنعها الإنسان من ممارسته، شرهة على ما يردعها من مخالطته، أما درجات تربيتها فأول ذلك إخضاعها للتدين بالدين الصحيح، وتحليتها بالاعتقادات الحقة المنزهة عن البدع والخرافات، وتمرينها على العمل بالأوامر والنواهي الآلهية، وترويضها بالالتزام بالتعليمات الربانية (21)إذ إنَّ الإنسان متى هذَّب أخلاقه تهذيباً دينياً ((نشأت في قلبه خِلال طيبة، وصفات حميدة تقربه من الصدق والاستقامة فيصبح طيب القلب مستقيم السيرة في الأعمال والأشغال، وهذا سرّ النجاح فتعظم الثقة، وتتسابق الناس إلى معاملته، وتتوارد إليه الخيرات من كل جانب، وما يتمتع به من راحة الفكر والضمير...)) (22).

وفي قصة النبي يوسف (عليه السلام) مثال لهذا التهذيب الخلقي والديني فلم تغرَّه امرأة العزيز (زليخا) وآثر السجن على الفاحشة، وفي ذلك يقول تعالى (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (يوسف/33)، وقد كرّمه الله تعالى فآلهمه تأويل الأحلام فقال عزّ من قائل (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (يوسف/6)، حتى منّ الله عليه بالخروج من السجن، ويعلو شأنه في مصر، ويصبح أميناً على خزائن الأرض، ويشاء الله اللقاء بإخوته ثم بأبيه الذي يرتد بصيراً بمجرد أن يلقوا على وجهه قميص يوسف، وفي ذلك يقول تعالى (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ۞وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ۞قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ ۞ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) (يوسف/93-96).

وثمة قصة أخرى شبيهة بقصة يوسف (عليه السلام) هي قصة ابن سيرين ذاك البزّاز الذي جمآله يشبه جمال يوسف فتُعجَبُ بجمآله امرأة تأمره بأن يأتيها بالقماش الفلاني إلى بيتها، وفي البيت تراوده عن نفسه فيلجأ إلى حيلة ذكية هي أنه أراد الذهاب لقضاء الحاجة، وهناك يدهن نفسه من أعلاه إلى أسفله بالنجاسة فلما رأته بهذه الحالة استقذرته فكرّمه الله بنعمة تأويل الأحلام كما هو الحال عند النبي يوسف (عليه السلام)، فيؤلف كتابه (تفسير الأحلام).

إذاً على الشاب التغلب على آلهوى؛ لأنه يفسد عقوله، ويعيقه عن حركته السليمة، ويحجبه عن الحق، ويدفعه لصياغة المبررات من أجل خدمة مآربه فيشلّ قدرته على الإدراك السليم لحقائق الأشياء كما إنّ آلهوى يلوث القلب بأدرانه، ويحجبه عن تلقي الأنوار المعنوية التي بها يبصر الإنسان سبيله إلى الله تعالى، ويصاب الإنسان بالعمى والانحطاط في مستوى وعيه الديني، ويحرم آلهداية، ويقع في أودية الضلال(23)، قال تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ آلههُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (الجاثـية/23)، وقال (وَلا تَتَّبِعِ آلهوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)(ص / الآية26).

**الشباب القرآني**

في القرآن الكريم - كما رأينا – مساحة واسعة وكبيرة من الآيات التي أشارت إلى جانب تربية الشاب تربية قرآنية من خلال علاقاته الفردية والجماعية العامة إذ يؤكد الله تعالى لنا في القرآن الكريم أنّ معنى أنْ يكون الإنسان إنساناً مسلماً هو أن يكون إنساناً مسؤولاً عن نفسه وعمن حوله، وألّا يظلم نفسه ولا يظلم غيره، وقد وضع الله تعالى لنا برامج في العلاقات، ويريد أن يعرف كلّ منا ما له وما عليه في حياتنا الزوجية والأبوية والعائلية والاجتماعية (24).

إذاً يجب أنْ يجسد شبابنا مفاهيم القرآن سواء كان ذلك في المفاهيم العقيدية أو العبادية أو الأخلاقية أو الحركية بحيث يكون التوجيه القرآني توجيهاً واعياً حركياً لا توجيهاً جامداً على أساس الوقوف عند النص اللغوي بشكل تقليدي، أي يجب أن يستوعب المسلم القرآن الكريم في فكره وفي شعوره، وفي حركيته، وفي واقعه العملي ليكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة له في ذلك(25) فقد ((سئلت عائشة عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: كان خلقه القرآن)) (26) فمن هذا المنطلق علينا أن يكون خُلُقنا القرآن قولاً وفعلاً، وقد امتدح الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الشباب الخاشعين لكلام القرآن بقوله: ((لولا شباب خشع،وبهائم رتع،وشيوخ ركع،وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا)) (27).

**سبل النهوض بالشباب**

تمثل مرحلة الشباب الطاقة الحيوية المتحركة في الأمة، كما تمثل الأمل في المستقبل وفي رؤية حركة المستقبل فبمقدار ما يمكن من تحقيق تقدم في بناء الشباب يتحقق تقدم في مستقبل الأمة والجماعة؛ لأنّ الشباب هم الذين يتحملون مسؤوليات المستقبل، وسوف يكون لهم دور في رسم المستقبل(28) من هنا يجب عليهم أن يضعوا نصب عيونهم الأهداف المستقبلية سواء ما يمكنهم تحقيقه بصورة كلية أم تفصيلية حسب طبيعة ظروفهم وحركتهم، كما عليهم أن يسهموا في عملية التغيير الاجتماعي فيما يتعلق ببناء الجماعة الصالحة بناءً يجعلها قادرة على تحقيق أهدافها في الوصول إلى حقوقها وواجباتها(29).

وفي هذه المرحلة - مرحلة الشباب- يشعر الشاب بطاقاته الحيوية، ويريد أن يؤدي دوره في الحياة فكيف ننهض به وبغيره من الشباب لنستفيد من طاقاتهم الكامنة؟.

أقول: معظم شبابنا يعاني من الفراغ القاتل فعلينا أن نوجهه التوجيه الصحيح لملئ فراغه بما يرضي الله، ويصب في مصلحته ومصلحة بلده منطلقين من الحديث النبوي القائل ((اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)) (30)،وقول أبي العتاهية:

إنَّ الفراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

فسد الفراغ بالصالح والنافع، والمفيد أمر مهم وضروري للشباب من خلال مجموعة من السبل الكفيلة بالنهوض بهذه الشريحة المهمة، ومن هذه السبل:

(1) الرياضة: ليست الرياضة مجرد وسيلة من وسائل ملء الفراغ فحسب بل هي وسيلة من وسائل تربية الجسد فإذا أضفنا إلى ذلك الروح الرياضية فإنها قد تكون وسيلة من وسائل تربية الروح في انفتاحها على ساحة الصراع مع الآخر بحيث تقبل آلهزيمة بطريقة هادئة، ومن دون أن تضيف إلى الصراع صراعاً نفسياً (31)، والرياضة في واقعها حركة للجسم، وتنشيط للمفاصل، وتفعيل للدورة الدموية، والعيش في ظلها بصحة وسلام، والإسلام دين الفطرة لم يحرم الرياضة فقد أوصى بركوب الخيل، وهو نوع من فن الفروسية، ويشبه حديثاً سباق السيارات والدراجات، والتحلق في الجو، وغير ذلك كما أوصى الإسلام بالرماية، وهي تشبه الفنون الحربية المعترف بها حديثاً كالرمي بالسهام أو بالرصاص، أو رمي الكرة، وكذا أوصى الإسلام بالسباحة؛ لعلاج أكثر الأمراض، وهي رياضة مازالت موجودة في الوقت الحاضر(32).

إذاً علينا الاهتمام بهذه آلهواية الشبابية بإنشاء المراكز والأندية والملاعب، وتوفير بقية المستلزمات الرياضية للشباب، ولكن ينبغي ألّا يستغرق الشباب في اللعب طوال أوقاتهم ليصبح اللعب غايتهم الوحيدة في الحياة فتضيع الأهداف الكبرى، والطموحات العليا، والآمال المنشودة على مستويات الواقع العلمي، والسياسي، والثقافي، والاجتماعي فتكون الرياضة هنا وسيلة لآلهائهم، وإبعادهم عن ساحة آلهدى، والرشاد، والصلاح كما هو الحال في أمريكا وأوربا كما إنّ كثيراً من حكام العالم الثالث يحاولون عزل الواقع الشبابي عن مواجهة القضايا الكبرى التي يمكن أن يسيء لها هؤلاء الحكام من دون أن ينتبه إليها المجتمع باعتبار استغراقه في اللعب واللهو بشكل يعزله عن كل قضايا الواقع (33).

(2) الثقافة: هي الحصن الحصين الذي يحفظ للأفراد، والجماعات، والأمم عقائدها، وأخلاقها، ومبادئها، ويمدها بالروح المعنوية العالية، ويمسك جميع أطرافها، ويوحدها في مسارها ومواقفها وأهدافها؛ لأنها تُعنى بتفاصيل البناء الاجتماعي، وتمد جميع جوانبه وأبعاده بالتصورات والأطر التي يحتاجها على المستوى السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والتنظيمي، والأمني، وكذا على مستوى الشكل والمضمون والمحتوى(34).

من هنا ينبغي الاهتمام بالشباب، وتثقيفهم الثقافة الواعية الصحيحة في المدارس، والجامعات، وتوفير الأجواء المناسبة للدراسة، وإنشاء المكتبات العامة، وإقامة الندوات والمؤتمرات العلمية لمناقشة البحوث والدراسات، وتنويع المؤسسات الثقافية من الحوزات، والمدارس، والمعاهد، والجامعات و المساجد والحسينيات، ومن خلال هذه المؤسسات الثقافية تنتشر الثقافة والعلوم لاسيما أن الشريعة المحمدية حثت على طلب العلم حتى أصبح واجباً شرعياً في مذهب أهل البيت، يتحمل الإنسان مسؤولية الإخلال به(35)، والأحاديث كثيرة في هذا الصدد منها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم)) (36)، وقوله(صلى الله عليه وآله وسلم): ((من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم)) (37)، ويبدو من بعض الأحاديث أنّ المشرِّع الإسلامي يؤكد على ضرورة تعلم علم الفقه؛ انطلاقاً من قوله تعالى (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة/122)؛ لأنّ علم الفقه من أجل العلوم شأنا، وأعظمها شرفا، وأعلاها قدرا، وبه يتعرف المكلّف على أحكامه اليومية، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((ومن أجل العلوم شأنا، وأعظمها شرفا، وأعلاها قدرا، هو علم الفقه، فبالفقه يتعرف الإنسان على أحكامه اليومية)) (38)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): ((لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته)) (39) على أنّ المجتمع يحتاج المهندس، والمدرس، والمعلم، والطبيب، وغيرهم كما يحتاج الفقيه، و(كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) (40) على ما يقول الله تعالى في كتابه المجيد، و((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) (41).

(3) قلة النوم والعمل: إنّ كثيراً من الشباب العاطل يعيشون الفراغ فيحاولون ملأه بالنوم لساعات طويلة بيد أنّ أحاديث أهل البيت حذّرت من كثرة النوم إذ يقول الإمام الصادق (ع): ((كثرة النوم مذهبة للدين والدنيا)) (42)، وعنه (عليه السلام) قال: ((إن الله عزّ وجل يبغض كثرة النوم وكثرة الفراغ)) (43) فلا بد للشباب أن يبحثوا لهم عن أعمال معاشية أو تعليمية أو يقضوا فراغهم بمطالعة الكتب النافعة، قال الصادق (عليه السلام): ((إني أشتهي أن يراني الله عز وجل أعمل بيدي وأطلب الحلال)) (44) .

إنّ إهمال مجموعة كبيرة من الشباب دون عمل جريمة كبرى؛ لأنّ إهمآلهم سيولد في أنفسهم عقداً، وأمراضاً نفسية أو حالات من الإحباط، والانكسار، والنقص، والحقد على المجتمع مما يكونون عرضة لارتكاب جرائم بحق أبناء جلدتهم لاسيما أنّ الشاب يكون أكثر من غيره عرضة للانحراف لذا فمن الضروري توفير فرص العمل لهذه الطاقات المعطلة، وتسخيرها للنفع العام، ولسد احتياجاتها بوصف الشاب مواطناً له حقوق، وعليه واجبات حتى يشعر بحقه الشخصي في وطنه فيحبّ أهله، وبلده، وللتفوق على حالات الإحباط والانكسار التي يتعرض لها الشباب في هذه المرحلة من الحياة، يبذلون جهدهم بالعمل الدءوب أو كسب العلم والجد للاستعداد لظروف الحياة (45) الصعبة، وقد أثنى المشرِّع الإسلامي على الإنسان الكاد على عيآله فجعله كالمجاهد في سبيل الله (46).

**الخاتمة**

بعد هذه الجولة البحثية في رحاب (وعي الشباب) يطيب لي أن أوجز نتائج البحث بالآتي:

(1) لخلق جيل واع لابد أن ننمي وعيه بالتفكير، ونطور مهارات تفكيره من خلال تحسين قدرته على التفكير بوساطة ثلاثة عناصر: (الطلاقة، والمرونة، والإبداع)، ونصون الفكر من الأوهام، والخرافات، والأساطير فضلاً عن ضبط مسار الغريزة وترويضها بما يدخره الدين الإسلامي من وسائل تكبح جماح الغريزة من خلال الزواج أو الصيام، والالتزام بالقيم، والمبادئ الإسلامية الأصيلة نحو العفة، والحياء، والحفاظ على الشرف والناموس.

(2) إنّ ما يعانيه الشباب من فراغ، وضياع، ولا مبالاة ناتج عن غياب الفكر المبدع، وتعمد جهات أجنبية لتجهيل الشباب، والهائهم بالمفاسد والشهوات والمخدرات؛ لتضييع جوهرة من الجواهر التي وهبها الله تعالى للإنسان، وهو العقل الذي ينتج الفكر إذ إنّ قيمة كلّ امرئ ما يحسنه - كما يقول الإمام علي (عليه السلام) -.

(3) يجب أنْ يجسد شبابنا مفاهيم القرآن سواء كان ذلك في المفاهيم العقيدية أو العبادية أو الأخلاقية أو الحركية بحيث يكون التوجيه القرآني توجيهاً واعياً حركياً لا توجيهاً جامداً على أساس الوقوف عند النص اللغوي بشكل تقليدي، أي يجب أن يستوعب المسلم القرآن الكريم في فكره، وفي شعوره، وفي حركيته، وفي واقعه العملي ليكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة له في ذلك، ويكون قوله موافقاً لفعله وعمله، ولا يكون مصداقاً لقوله تعالى (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)(الصف/3)، ولا لقول الشاعر:

يا أيها الرجلُ المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليمُ

لا تنهَ عن خلق وتأتيَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

(4) إنَّ سبل النهوض بالشباب كثيرة أبرزها سد ما يعانيه الشباب من فراغ قاتل، وبطالة مقنعة بالعمل، والمطالعة، وطلب العلم، وممارسة الرياضة بأنواعها ولكن ينبغي ألّا يستغرق الشباب في اللعب طوال أوقاتهم ليصبح اللعب غايتهم الوحيدة في الحياة فتضيع الأهداف الكبرى، والطموحات العليا، والآمال المنشودة على مستويات الواقع العلمي، والسياسي، والثقافي، والاجتماعي فتكون الرياضة هنا وسيلة لالهائهم، وإبعادهم عن ساحة آلهدى، والرشاد، والصلاح كما هو الحال في أمريكا وأوربا كما إنّ كثيراً من حكام العالم الثالث يحاولون عزل الواقع الشبابي عن مواجهة القضايا الكبرى التي يمكن أن يسيء لها هؤلاء الحكام من دون أن ينتبه إليها المجتمع باعتبار استغراقه في اللعب واللهو بشكل يعزله عن كل قضايا الواقع.

(5) ينبغي الاهتمام بالشباب، وتثقيفهم الثقافة الواعية الصحيحة في المدارس، والجامعات، وتوفير الأجواء المناسبة للدراسة، وإنشاء المكتبات العامة، وإقامة الندوات والمؤتمرات العلمية لمناقشة البحوث والدراسات، وتنويع المؤسسات الثقافية من الحوزات، والمدارس، والمعاهد، والجامعات، والمساجد، والحسينيات، ومن خلال هذه المؤسسات الثقافية تنتشر الثقافة والعلوم لاسيما أن الشريعة المحمدية حثت على طلب العلم حتى أصبح واجباً شرعياً في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، يتحمل الإنسان مسؤولية الإخلال به.

(7) إنّ إهمال مجموعة كبيرة من الشباب دون عمل جريمة كبرى؛ لأنّ إهمآلهم سيولد في أنفسهم عقداً، وأمراضاً نفسية أو حالات من الإحباط، والانكسار، والنقص، والحقد على المجتمع مما يكونون عرضة لارتكاب جرائم بحق أبناء جلدتهم لاسيما أنّ الشاب يكون أكثر من غيره عرضة للانحراف لذا فمن الضروري توفير فرص العمل لهذه الطاقات المعطلة، وتسخيرها للنفع العام، ولسد احتياجاتها بوصف الشاب مواطناً له حقوق، وعليه واجبات حتى يشعر بحقه الشخصي في وطنه فيحبّ أهله، وبلده، وللتفوق على حالات الإحباط والانكسار، التي يتعرض لها الشباب في هذه المرحلة من الحياة، يبذلون جهدهم بالعمل الدءوب أو كسب العلم والجد للاستعداد لظروف الحياة الصعبة، وقد أثنى المشرِّع الإسلامي على الإنسان الكاد على عيله فجعله كالمجاهد في سبيل الله.

**الهوامش**

(1) ينظر:تنمية الوعي – منهج في ارتقاء المستوى الفكري وتشييد العقلية الواعية / علاء الحسون 37-38.

(2) ينظر: المصدر نفسه 39-40.

(3) ينظر: الأفكار والميول في علاقة الشباب والشيوخ والكهول / الأستاذ محمد تقي فلسفي 2/205.

(4) ينظر: تنمية الوعي 32-33.

(5) ينظر: 100سؤال وجواب فيما يحتاجه الشباب / عبد العظيم المهتدي البحراني 170.

(6) ديوان الإمام علي (ع) 68.

(7) ينظر: تنمية الوعي 43.

(8) ينظر: المجتمع الإنساني في القرآن الكريم /السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره)153.

(9) ينظر: الأفكار والميول في علاقة الشباب والشيوخ والكهول 2/110.

(10) ينظر: المصدر نفسه 2/110-111.

(11) ينظر: دنيا الشباب / السيد محمد حسين فضل الله 183-184.

(12) ينظر: المصدر نفسه102-103.

(13) الحدائق الناضرة / المحقق البحراني 18/9.

(14) المصدر نفسه18/9.

(15) ينظر: الأفكار والميول في علاقة الشباب والشيوخ والكهول 2/112.

(16) المصدر نفسه 2/122.

(17) الكافي/ الشيخ الكليني 5/13.

(18) مصباح الشريعة / المنسوب للإمام الصادق(ع) 22.

(19) ينظر: الأفكار والميول في علاقة الشباب والشيوخ والكهول 2/123.

(20) ينظر: الخطوة الأولى نحو الآفاق / الشيخ حسن الرمضاني 24-26.

(21) ينظر: الدروس الأخلاقية / الشيخ جعفر نقدي 6،7.

(22) الجواهر الروحية / السيد حسن القبانجي 43.

(23) ينظر: تنمية الوعي 153.

(24) ينظر: للإنسان والحياة / السيد محمد حسين فضل الله 287.

(25) ينظر: دنيا الشباب 63.

(26) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 6/340.

(27) المجموع /محيي الدين النووي 5/67.

(28) ينظر: دور الجامعيين في مستقبل العراق / السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) 5،15.

(29) ينظر: المصدر نفسه 16.

(30) من وصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر، ينظر: وسائل الشيعة / الحر العاملي 1/114.

(31) ينظر: دنيا الشباب 185.

(32) ينظر: 100سؤال وجواب فيما يحتاجه الشباب 172.

(33) ينظر: المصدر نفسه 186-187.

(34) ينظر: دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة / السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) 1/121.

(35) ينظر: المصدر نفسه 1/126.

(36) الكافي 1/30.

(37) ينظر: مغني المحتاج / محمد بن أحمد الشربيني 1/8.

(38) ينظر: الخلاف / الشيخ الطوسي 1/5.

(39) الحق المبين / الفيض الكاشاني،مقدمة الناشر 2.

(40) الآية 84 من سورة الإسراء.

(41) ينظر: المجموع 3/11.

(42) الكافي 5/84.

(43) المصدر نفسه 5/84.

(44) الدروس / الشهيد الأول3/161.

(45) ينظر: الأفكار والميول في علاقة الشباب والشيوخ والكهول 197.

(46) جاء في الكافي 5/88 عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: الكاد على عيآله كالمجاهد في سبيل الله.

**المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم

الأفكار والميول في علاقة الشباب والشيوخ والكهول،الأستاذ محمد تقي فلسفي،ترجمة: عباس حسين الأسدي،ط1،مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع،1412هـ -1992م.

تنمية الوعي - منهج في ارتقاء المستوى الفكري وتشييد العقلية الواعية،علاء الحسون،ط1،دار الغدير،قم،1424هـ -2003م.

الجواهر الروحية،السيد حسن القبانجي،ط1،مط: مهدية،المؤسسة الإسلامية للترجمة،1381.

الحدائق الناضرة، المحقق البحراني،مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة،(د.ت).

الحق المبين، الفيض الكاشاني، تحقيق وتصحيح: مير جلال الدين الحسيني الأرموي، الناشر: سازمان چاپ دانشگاه.

الخطوة الأولى نحو الآفاق،الشيخ حسن الرمضاني،ترجمة: عرفان محمود،ط1،مركز الآفاق للدراسات الإسلامية،شهر رمضان 142هـ.

الخلاف، الشيخ الطوسي، تح / جماعة من المحققين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، جمادي الآخرة 1407هـ.

الدروس، الشهيد الأول، تح/ مؤسسة النشر الإسلامي،ط1، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ربيع الثاني 1414هـ.

الدروس الأخلاقية،الشيخ جعفر نقدي،ط1، مط: أمير،قم،انتشارات الشريف الرضي،1412-1371.

دنيا الشباب،حوار مع آية الله السيد محمد حسين فضل الله، المحاوران: عادل القاضي،وأحمد أحمد،(د.ت).

دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، شهيد المحـراب آية الله العظمـى السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره)، ط5، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم،مط: العترة الطاهرة،النجف الأشرف، صيف2007 م.

دور الجامعيين في مستقبل العراق،آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره)،ط1،دار الحكمة،القسم الثقافي،1424هـ.

ديوان الإمام علي أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين (عليه السلام)،المكتبة الشرقية،الدار العربية،بغداد،(د.ت).

100سؤال وجواب فيما يحتاجه الشباب،عبد العظيم المهتدي البحراني،ط1،مؤسسة عاشوراء،شهر رمضان 1422هـ -2002م.

شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،تح/محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه،(د.ت).

الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط3، دار الكتب الإسلامية – طهران، مط: حيدري،1367 ش.

للإنسان والحياة،آية الله السيد محمد حسين فضل الله،إعداد وتنسيق:شفيق الموسوي، ط3،دار الملوك للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان، 1421هـ -2001م.

المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، شهيد المحـراب آية الله العظمـى السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره)، ط2،مؤسسة تراث الشهيد الحكيم،مط:العترة الطاهرة،النجف،2006م.

المجموع، محيى الدين النووي،دار الفكر،(د.ت).

مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق (ع)،ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان،1400 - 1980 م.

مغني المحتاج،محمد بن أحمد الشربيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان،1377 - 1958 م.

وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، تح / مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث،ط2،مط: مهر - قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة،1414هـ.